

ثبات... ولا تردد¹

كنت قد كلمتكم في الأسابيع الماضية، عن "السهر الروحي"، وعن عمل الله فينا... يلزم لكي يحيا الإنسان حياة روحية سليمة أن يكون ساهراً على خلاص نفسه، وأن يعمل الله فيه... وأيضاً لابد أن يكون له هدف واضح، وأن يكون غير متعدد في حياته الروحية. لأن كثيرين حياتهم الروحية مزعزعة، قد يبدأون بالروح، ويكملون بالجسد... وربما يحيا الله فيهم، ويحيا العالم فيهم في نفس الوقت... فهم يفتحون أبوابهم لله، ويفتحونها أيضاً للعالم...!

لذلك يقول الرسول "إذن يا أخوتي الأحباء، كونوا راسخين غير متزعزين مكترين في عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبركم ليس باطلًا في الرب"

نحن نريد أناساً راسخين في طريق الله، وطريق الله هو الخط الواضح في حياتهم، الآن وإلى الأبد... بغير رجعة، ولا تردد ولا مساومة أو مقاومة مع الشيطان... يسيرون في طريق رب، ولا يرجعون... ولا ينظرون إلى الخلف مثل "امرأة لوط" التي سارت مع رب، وخرجت من أرض "سديم"، ولكن قلبها كان لا يزال في "سديم"!

العجب في هذه المرأة، أنها لم تهلك داخل "سديم"، وإنما هلكت "خارجها"... لم تحرق بالنار مثل أهل "سديم" الأشرار... ولكنها تحولت إلى عمود ملح...!

كثيرون يتظرون أنهم خرجوا من حياة الخطية، وخرجوا من "سديم" لكنهم يهلكون خارجها...

ولذلك يقول الكتاب "من وضع يده على المحراث، لا ينظر إلى الوراء" إن وضع يد التردد، هو الذي كان يلومه "إيليا النبي" حينما قال للناس "حتى متى تعرجون بين الفرقين، إن الله هو الله فاعبده... وإن كان هو البعل فاعبده!"

نريد حياة روحية ثابتة، راسخة في رب، غير متزعزة... فإن مثل "امرأة لوط"، قد حدث مرة أخرى في تاريخبني إسرائيل. إنهم خرجوا من عبودية فرعون، واجتازوا البحر الأحمر ولم تغرقهم أمواجه. ومع ذلك هلكوا في بربة سيناء... لأن عيونهم كانت لا تزال تنظر إلى الوراء... مثلما بكوا من أجل اللحم، والأكل والشراب الذي كان في أرض مصر...

لقد كانت عقولهم لا تزال موجودة في أرض العبودية... إنهم شعب متعدد غير ثابت، ولا راسخ في طريق الله... خرج بجسمه من أرض العبودية ولكن قلبه كان لا يزال هناك!!

نحن نريد الخط الواضح الصريح، نريد القلب المتمسك بالله بغير رجعة.

يوجد أناس يتأنّحون بين الطريقين يريدون أن يجمعوا بين الله والعالم، تماماً مثل "حنانيا وزوجته سفيرة" اللذين أرادا أن يجمعوا بين الانضمام إلى أبناء الله المضحيين بأموالهم، المقدمين كل ما يملكون تحت أقدام الرسل... ولكنها في نفس الوقت احتفظوا بمال حرام... ولذلك، فإن القديس بطرس لم يسمح لهم، أن يعيشوا لأنهما يمثلان الخداع... الذي يريد الإنسان أن يخدع به خالقه!

+ هذا الموقف، موقف الرياء تماماً مثل موقف بيلاطس... الذي سلم المسيح لليهود لكي يصلبوه، بينما هو في نفس الوقت غسل يديه وقال "أنا بريء من دم هذا البار" إن ذلك النوع من الرياء غير مقبول.

+ تماماً أيضاً مثل آدم، الذي يأكل من الشجرة، ويقدم اعتذاراً...

+ ومثل الشخص الذي دعاه المسيح لأن يتبعه، ولكنه قال له اسمح لي أولاً أن أذهب وأدفن أبي! إنها مواقف عجيبة من المتردددين الذين يريدون أن يجمعوا بين العالم والله ... مثل سليمان الحكيم، الذي أعطاه الله حكمة أكثر من جميع الناس، ومع ذلك كانت له "نساء غريبات"... يتزوج منها وبيني لهن المرتفعات...

لقد كان يريد أن يجمع بين الله والعالم ففشل وأخطأ...!

+ ومثل "شمشون" الذي كان "مسيحاً للرب" من جهة، وصديقاً "لدلالة" من جهة أخرى، كان ابناً لأورشليم ويتعدد على غزة، فضاع، وقد نفسه لولا رحمة الله أدركه في أواخر حياته!

+ ومثل "راحيل" المحبوبة، التي أحبها يعقوب وأرادت، أن تجمع بين يعقوب وأصنام أبيها!

إنهم أناس يريدون أن ينالوا الدنيا والسماء في نفس الوقت، وقد قال السيد المسيح، "لا يستطيع إنسان أن يعبد سيدين، إذا أرضى هذا، يغضب ذاك" ...

نحن نريد القلب الذي يعطي ذاته كلها لله وقد قال الله: "تحب الرَّبِّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ فَكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قَدْرَتِكَ" !!
نريد الخط الواضح الصريح في حياة الإنسان وعلاقته بالله...

هناك أشخاص رجعوا إلى الله بكل قلوبهم... رجعوا إليه بكل قلوبهم، مثل القديس بطرس الذي يقول "تركتنا كل شيء وتبعناك" فلم يستبق له من العالم شيئاً... ومثل بولس الذي قال "خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نهاية لكي أربح المسيح، وأوجد فيه!"
وبولس أيضاً يذكر دعوته، فيقول: "لما سر الله الذي دعاني من بطن أمي للوقت لم استشر لحمًا ولا دمًا، ولا ذهب للأخوة الذين كانوا قبلني في أورشليم!"

وأيضاً إبراهيم أبو الأنبياء عندما دعاه الله قائلاً: أخرج من أهلك ومن عشيرتك ومن أهل بيتك... خرج فوراً، بلا ترد وبغير تراجع، ولا صراع داخلي...

وأيضاً عندما قال له الله، خذ ابنك وحيبك وقدمه محرقة للرب...
استجاب فوراً لأن إبراهيم كان على يقين من أن الله ينبغي أن يطاع ولو بتقديم الابن الوحيد... ويقول الكتاب إن إبراهيم قد بكر وأخذ الحطب والسكنين، وأخذ ابنه معه... لم يتتردد ولم يتفاوض... إنه خط واضح... هو الطاعة المطلقة والكاملة لله...!

ولذلك فإن الله قد أرسل ملاكاً من السماء أمسك يد إبراهيم لكيلا يذبح إسحق!

إنهم أناس يعرفون طريقهم إلى الله ويتوجهون فيه بقلب ثابت، وبنظر ثابت موجه للهدف، لا ينحرف عنه ولا يت حول يمنة ولا يسراً!

أيامنا هذه، مشكلتها الأولى هي التردد في طريق الله، والتزعزع في الخط الروحي، والانحراف عنه يمنة ويسراً...
وعدم الثبات في الوعد بين الإنسان والله!

إنها حياة غير ثابتة في المسيح، ولهذا فإن السيد المسيح يقول: "اثبتوا فيّ وأنا فيكم"!!

عندما أخرج الملائكة لوطاً من سدوم قالا له: لا تنظر إلى الوراء، ولا تقف في كل الدائرة... أسرع واهرب لحياتك والمسيح يريد من الإنسان أن يكون حازماً في حياته، وواضحاً وثابتاً مهما كلفه الأمر ومهما كان الثمن...
وسأريك وصية عجيبة حازمة جداً، من وصايا السيد المسيح في هذا الموضوع تقول: "إن أعتبرت عينك، فاقلعها وألقها عنك... وإن أعتبرت يدك اليمنى، فأقطعها وألقها عنك"! إن ذلك يعني الحزم والجسم...

فلا تفاهم مع الشر وأفكار الخطية... وإنما حزم وقوه...

وهكذا الذي يتوب ينبغي أن تكون توبته صادقة لا رجعة فيها... والتوبة ليس معناها إحالة من الخطية وإنما هي قطع كل صلة بالخطية...
توبة بلا رجعة... لأن الذي يقوم... ويقع، ثم يقوم ويسقط، يأتي ويرجع... متى إذًا يصل؟؟

إن ذلك مثله كمثل قول الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدما

التوبة يا أخوتي تحتاج إلى عزم وقوة وثبات في ترك الخطية... لا تترك من الخطية شيئاً مهما كان ضئيلاً في قلبك ولا تترك أسبابها قائمة...

والقديسون يقولون: لا تأخذ وتعطى مع إنسان يقاتلك به العدو...

والأنبا أنطونيوس يقول: لا ترجع إلى المدينة التي أخطأ فيها، ولا تدخل البيت الذي أخطأ فيها!

لا تترك للعدو شيئاً فيك على الإطلاق... وإنما أطركه، وكل ما له نهايًّا...

إن الشيطان إذا وجد فينا إرادة متربدة -غير حازمة- ولا ثبات على الحال... فإنه يتسعج ويعود فيها جم... مرة أخرى ومرات!

هذا هو الوضع الذي نريده في حياتنا الروحية أن يكون لنا ثبات في علاقتنا مع الله، ونبعد عن التردد في الحياة الروحية.
نريد ثباتاً قوياً... والإنسان التائب لا ينبغي أن يسمح لنفسه بأن يتفاوض مع الشيطان أو أن يأخذ ويعطي معه... ولا ينبغي أن يكون ذا قلبين، ولا ذا فكريين. لئلا يكن مقلقاً في كل طرقه...

ينبغي، في الهدف الواضح، أن يكون الله هو كل شيء، ولا يوجد إلى جواره شيء... وأن تسير في طرق الله، ولا نفكر في تغيير طريقنا
مرة أخرى!